قضية الفهم والتذوق

يفرق * الأستاذ المعداوي بين الفهم والتذوق ، فيذكر أن الأول طاقة عقلية والآخر طاقة شعورية . والواقع – كما نعتقد – أن التذوق والفهم وحدة لاتتجزأ موضوعياً . فالتذوق جزء من الفهم تستدعيه طبيعة الفنون إذ كيف نفهم عملا فنياً دون أن نتذوقه ؟

أنكون قد فهمناه حقاً ؟ إن فهمنا – دون تذوق – يكون بلا شك نقصاً يجرد العمل الفني من كل قيمة ؛ بل يضطرنا لأن نقسمه إلى هيكل وبنـاء ، ضاربين بكل مفاهيمنا النقدية الحديثة عرض الحائط . وقد انجدر الأستاذ المعداوي فعلا لهذا حين قال : « إن هناك مثلا من « يفهم » قصيدة من الشعر ، يفهم فيها اللفظ والصورة ، ويفهم فيها الوزن والقافية ويفهمها اتجاهياً إذا طلبت اليه الشرح والتفسير . ومع هذا كله لايستطيع أن « يتذوق » فيها وحدة العمل الفني ، ولا إيحائية التركيب اللفظي ، ولا تماسك التجربة الشعورية وهي معروضة عرضاً تفصيلياً من خلال مضمون . وقل مثل ذلك عن الذي يفهم أصول النوتة الموسيقية للحن من الألحان ، ثم لايتذوق جمال اللحن . »

لا يا سيدي ...

ليس هذا « فهماً » في قاموس المفاهيم الحديثة ، بل هو ميزان نقدي أبلاه القدم ، وأولى بصاحبه أن يراجع منجديد خطوات تطورنا الأدبي في العشرين سنة الأخيرة .

ولا نقول إن الفهم لايصور إلا مقترناً بتذوق دائماً ، وإنما نقول «أحياناً» ونقصر هذه الأحيان على الأعمال الفنية وحسب . ذلك اننا نعلم أن الفهم في غنى عن التذوق حين يعرض للمسائل العلمية أو الفلسفية أو السياسية ؛ لأن هذه قواعد عامة قبل أن تكون تجارب خاصة . أما العمل الفني فهو نسيج لامتجزئ من قاعدة لا تعني شيئاً كثيراً وتجربة ذاتية هي كل شيء .

وعن المثال الذي قدمه الأستاذ المعداوي عن الموسيقي نقول :

إن لست لم « يفهم » لحن شوبان حقاً حين نقله عن أصل النوتة ، وذلك لأن « أصول النوتة » قاعدة ولحن شوبان تجربة ذاتية لا يتم « الفهم » إلابتمثلها واستحضارها . على أنك قد تستطيع أن « تفهم » العمل الفني وأنت عاجز تماماً عن « تقليده » كما هو واضح . ومن هنا يفقد المثال كل قيمته الاستدلالية .

أما قصة « أم » فنعتقد أن الأستاذ المعداوي قد اخطأ في التعليق عليها حين قال : إن موریاك لا يطالعنا « بفهم » الحياة فيها ، ولكنه يطالعنا « بتذوقها » في لحظاتها النفسية المختارة ؛ وهذا خلط آخر في قضية الفهم والتذوق هذه . إذ الواقع أن موریاك – في « أم » – يطالعنا « بفهم » حقيقي للحياة ولكن من زاوية الفنان ومن وجهة نظره الفردية الخاصة في تلك الزاوية . ومن هنا يأتي التذوق كعنصر لابد منه inevitable في « فهم » الفنان الحياة على أنها عمل فني في صورة ما .

أما لوحة «مدام ريكاميه» فقد خرج منها الأستاذ المعداوي بأكثر مما يجب وحملها أكثر مما يمكن أن تحتمله الوانها – الصامتة على أي حال – لكي يصل بها إلى مفاهيمه عن دور التذوق في الأداء النفسي للفنون .

ولاحظنا في المقال أيضاً :

« ولوقدر للفنان أن يملك هذه الموهبة (يعني التذوق) فلا بد له من أن يملك القدرة على التعبير الصادق الخ » والواقع ان الفنان – تجاوزاً – لايمكن أن يكون « فناناً » بحال إذا لم يملك هذه الخاصية ، لأنها جزء من صميم كيانه ونفسيته لابد منه لتطور وإكمال نموه الداخلي كفنان . وكيف يكون فناناً إذا لم « يفهم » الفن ؟ وكيف يفهمه إذا لم « يتذوقه » ؟

هذا وفي الختام تحيتي وتقديري للأستاذ المعداوي .

القطينة – السودان **محجوب عبيد**

(*) انظر مقال : « الأداء النفسي في الفنون » في العدد الماضي من (الآداب)

●

« في الأدب والحياة »

نشر الاستاذ عبد اللطيف شرارة في مجلة الآداب الغراء كلمة عن كتاب (في الادب والحياة) وهو يرى ان هذا الكتاب « لايخرج عن كونه مجموعة مقالات ولقد سبقت الأستاذ الناقد عندما بينت هذه الحقيقة في تصدير الكتاب . وهل يضر الكتاب اذا كان يضم مجموعة من المقالات التي تعالج اموراً عديدة في الادب والحياة ؟

ان ادب المقالة الذي لايناصره الأستاذ الناقد له قراء وله مناصرون . وقد صدرت كتب كثيرة في هذا الميدان كان لها القدح المعلى في النهضة الادبية الحديثة. ولو اننا اخذنا برأي الأستاذ الناقد ستتوقف الصحف الادبية جميعها عن الصدور

اما الرأي الذي توصل اليه الناقد وهو ارسال كل نقد الى صاحبه برسالة خاصة فهو رأي لم يسبقه اليه ناقد . اهذا رأي ؟ أكل الكتب الناقد رداً على كتاب وجب ان يرسله الى المنقود بالبريد ؟ وهل الأستاذ شرارة مطمئن الضمير لهذا الرأي الجديد ؟ !

اذن لماذا لم يرسل الي رده هذا في البريد لكي يكون هو اول من يؤمن بهذا الرأي ؟ !

ان رأي الأستاذ عبداللطيف شرارة في كتاب «في الادب والحياة» يقابله رأي نشر في احدى الصحف المصرية بقلم الأستاذ محمد مصطفى حمام قال فيه :

« نحن نريد غدقاً من الكتب التي تعلم وتصقل ، لا هذا الغدق من المنشآت او المترجمات التي يغشاها الضعف ، والعجمة ، والركاكة ، وتقوم فكرتها على تشجيع الغرائز البهيمية ، ونشر الدعوة الاباحية او الالحادية ، وكثيراً ما يجرؤ اصحابها على الزراية بالتقاليد الكريمة ، واهانة التعاليم الدينية الحكيمة ، لهذا استقبلت كتاب الأستاذ الفاضل خلف « في الادب والحياة » بفرحة من وجد جزيرة آمنة في البحر اللجي او الواحة المثمرة في المفازة الجرداء»

ومهما يكن من امر فان هذا هو رأي الاستاذ شرارة الخاص ، وانني ان لم اتمكن من ارضائه في هذا الكتاب فارجو ان انال رضائه في كتاب آخر ، وله تحياتي .

الكويت **فاضل خلف**

●

حول « اغنية في شهر آب »

لقد أحسنت « الآداب » صنعاً بطرحها طلباً للثقة بهذه القصيدة ، التي قالت عنها إنها « محاولة لكتابة الشعر بأسلوب جديد » .

يقتحم بدر في أغنيته جو عائلة بورجوازية متفسخة ، بكثير من البراعة ، وهو يذكر تموز القتيل ومرجانه والليل والزوج والهدية والخضر والخنزير ، لالذاتها ، بل يجعل منها نوعاً غريباً من الرمز يضفي عمقاً وغرابة على الموضوع

وتتفاوت هذه الرموز في قوتها ودلالتها ، كما في موسيقى الجاز والخضر مثلا .

إن هذه الرموز تمضي في أداء مهمتها ، حتى النهاية ، حين تتكشف أمامنا العائلة المتفسخة ، وتفضح الصلة المتدينة التي تربط الزوج بالزوجة ، صلة الطعن والغيبة .

إن الرابطة بين الناس ، التي نراها تشبثا بالحياة وكشفاً عن ينابيعها عند أكسوبري ، وطبقية ذات هالة عند غوركي ، وحباً متلئاً عند المسيح ، واتصالا جنسياً عند د . ه . لورنس ، هذه الرابطة تتحول عند العائلة البورجوازية إلى حطة وغيبة ... في أفئدة كالمقابر .

أرادت « الآداب » أن تثبت أن « أغنية في شهر آب » محاولة لكتابة الشعر بأسلوب جديد ، إنني لا أرى هذا ، وإنما أرى القصيدة لها بعض الغرابة ، لأنها تحوي تعابير ورموزاً غريبة مثل نقالة الاسعاف السوداء والفرو الذئبي والجاز ... هذه التعابير المستوردة التي جعلت من شهر آب أو تموز القائظ المحرق في العراق شهراً تتدثر فيه النساء بالفراء ، وترتجف فيه مرجانة ، والبردينث من القمر ... كأننا في شتاء فنلندي ! ..

أنا لا اعتبر القصيدة محاولة لكتابة الشعر بأسلوب جديد ، إنما أعتبرها استيراداً رائعاً .

البصرة — **سعدي يوسف**

حول « حاضر » و « محاضرة » و « محاضر »

انني أرى اكثر الكتاب والأدباء يقعون في خطأ باستعمالهم « حاضر » و « محاضرة » و « محاضر » بدل خطب وخطبة وخطيب. وكما جاء في عدد الآداب الخامس لشهر مايو ١٩٥٦ مقال بعنوان « العربية الفصحى في خير » للأستاذ اديب قعوار ، (واود ان اشير اخيراً الى فائدة نقطة مهمة اشار اليها الدكتور كمال الحاج في (محاضرته) القيمة « اللغة والقومية » (الى اخره) .

وقد عم هذا الأبدال على ما فيه من الخطأ حتى انك لتراه دائراً في افواه المتكلمين والسنة الخطباء وأقلام الكتاب . فكأنهم يتوهمون أن كلمة محاضرة اضخم لفظاً وأفخم معنى من كلمة خطبة فيؤثرونها عليها في الأستعمال كما يفضلون و« تعريب » و « محرر » و « استاذ » على ترجمة وكاتب ومعلم ، لهذا الوهم نفسه ولعل بعضهم يرى غضاضة عليه ان يقال لما القاه من الكلام على جماعة « خطبة » ولا يقال له « محاضرة » ! ! .

فالمحاضرة مصدر حاضر بمعنى عدا (١) وسابق او بمعنى جاء بالجواب حاضراً اذاً هي العدو والسباق أو هي ما بين القوم ان يجيب الواحد صاحبه بما يحضره من الجواب . ومن ذلك المحاضرات الشعرية كما بين عبيد بن الأبرص وامرئ القيس وبين ابي تراب السريحي والشريف العباسي ، وفلان حسن المحاضرة أي حسن المجالسة . والمحاضرة من فنون الأدب الأثنى عشر .

هذه معاني المحاضرة . وليس فيها واحد يسوغ استعمالها بمعنى « الخطبة » وجميع الأيمة الذين اشتهروا بالبراعة في الخطابة لم ينعت أحد منهم قط بكلمة « محاضر » بل كان كل منهم يوصف بكلمة خطيب وكان ما يكلم الناس به يطلق عليه خطبة لا محاضرة ، والسلام .

القطيف المملكة العربية السعودية — **موسى الشيخ علي**

(١) ومنه محاضير العرب للعدائين كسليك والشنفرى وتأبط شراً وغيرهم .

اخطاء مطبعية

في المقال المنشور في العدد الماضي تحت عنوان « الأداء النفسي في الفنون » ، حدث خطأ مطبعي في العمود الأول من الصحيفة العاشرة حيث ظهرت هذه الفقرة كما طالعها القراء : « إنك تفهم الشيء بعقلك وتتذوقه بشعورك ، نعني أن الفهم أداته الذهن الغامض وأن التذوق أداته الإحساس الرهيف » .وتصحيح الخطأ هو أن الفهم أداته الذهن « الفاحص » لا الغامض ، حتى يستقيم المعنى المقصود !

ولقد حدث أيضاً في العمود الأول من الصفحة الحادية عشرة ، أن سقطت كلمات تركت أثرها في مضمون التعبير حيث ظهرت الفقرة الناقصة على هذا الوجه : « وعندما فرغ لست من عزف المقطوعة ، تقلصت وجوه الحاضرين من موسيقى بتهوفن « ! وتصحيح هذا النقص هو أن نعيد كتابة تلك الفقرة وهي كاملة : » وعند ما فرغ لست من عزف المقطوعة تقاصت وجوه الحاضرين من الدهشة ، لأن شوبان لم يشترك بشعوره في الإنصات ولا بلسانه في الثناء ، كما فعل في المرة السابقة حين عزف لست تلك المقطوعة الأولى من موسيقى بتهوفن » ! وبهذا نضمن للسياق التعبيري سلامة المضمون .

القاهرة — **انور المعداوي**

تصويب

لقد وقعت في قصيدتي « المغرب الدامي » أغلاط مطبعية أرجو ان تشيروا إليها :

فالبيت : تحركت هناك في محاور الجبال
صوابه : تحركت هناك من محاور الجبال
والبيت : الى طريق الملتقى أو ساحة النضال
صوابه : الى طريق الملتقى وساحة النضال
والبيت : لاترهب الموت ولا ترعبها الدما
لتحرس الحمرا
صوابه : لاترهب الموت ولا ترعبها الدما
لتحرس الحمى
والبيت : السالبين من بيتها العز والهنا
صوابه : السالبين من بنيها العز والهنا
والبيت : معانقاً له ربي البطاح
صوابه : معانقاً له ربى البطاح
والبيت : مواضعا تضمنها الظلال
صوابه : مواضعاً تضمها الظلال

وليس يخاف عليكم أن هذه الأغلاط تبعد الأبيات عن معناها الصحيح وتحدث فيها زحاماً .

بغداد — كاظمية — **راضي مهدي السعيد**